الأغبياء

في كثير من المجتمعات أناس فارغون مفلسون رسبوا في مدرسة الحياة، و أخفقوا في حقول المعرفة والإبداع والإنتاج فاشتغلوا بتشويه أعمال الناجحين، فهم كالطفل الأرعن الذي أتى إلى لوحة رسام هائمة بالحسن، ناطقة بالجمال فشطب محاسنها وأذهب روعتها، وهؤلاء الأغبياء الكسالى التافهون مشاريعهم كلام ، وحججهم صراخ ، و أدلتهم هذيانٍ لا تستطيع أن تطلق على أحدهم لقبا مميزا ، و لا وصفا جميلا ، فليس بأديب و لا خطيب ولا معلم ول اكاتب و لا مهندس ولا تاجر و لا يذكر مع الموظفين الرواد ، ولا مع الصالحين الأبرار ، و لا مع الكرماء الأجواد، بل هو صفر على يسار الرقم، يعيش بلا هدف ويمضي بلا تخطيط، ويسير بلا هِمَّةٍ، ليس له أعمال تُتَقَدُ، فهو جالس على الأرض ، والجالس على الأرض لا يسقط، لا يمدح بشيء، لأنه خالي من الفضائل، ولا يُسبُّ لأنه ليس له حساد.

إن الفارغ البليد يجد لذة في تحطيم أعمال الناس و يحس بمتعة في تمريغ كرامة الرّواد، لا لشيء إلا لأنه عجز عن مجاراتهم فيفرح بتهميش إبداعاتهم و لهذا تجد العامل المثابر النشيط منغمسا في إتقان عمله و تجويد إنتاجه ليس عنده وقت لتشريح جثث الآخرين ولا أكل لحوم الأحياء والأموات و لا بعثرة قبورهم، فهو منهمك في بناء مجده ونسج ثياب فضله.

إن النخلة باسقة الطول دائمة الخضرة حلوة الطلع كثيرة المنافع، و لهذا إذا رماها سفيه بحجر عادت عليه تمرا ، أما الحنظلة فإنها عقيمة الثمر، مشؤومة الطلع، مرة الطعم، لا منظر بهيجا و لا ثمرا نضيجا ، وإن السيف يقص العظام و هو صامت، و الطبل يملأ الفضاء وهو أجوف.

إن علينا أن نصلح أنفسنا ونتقن أعمالنا، و ليس علينا حساب الناس و الرقابة على أفكارهم والحكم على ضمائرهم ؛ الله يحاسبهم فهو وحده يعلم سرهم و علانيتهم، و لو كنا راشدين بدرجة كافية لما أصبح عندنا فراغ في الوقت نُذهبه في كسر عظام الناس و نشر غسيلهم و تمزيق أكفانهم، فالتافهون وحدهم هم المنشغلون بالناس كالذباب يبحث عن الجرح، أما الخيّرون فأعمالهم الجليلة أشغلتهم عن توافه الأمور كالنحل مشغول برحيق الزهر يحوّله عسلا فيه شفاء للناس.

فالعاقل من يعمل ويجتهد فلا يصغي لمثبط أو حاسد أو فارغ ، وفي هذا المعنى يقول الشاعر :

كُنْ كالنخيلِ عن الأحقادِ مرتفعاً

يُرمى بصخرٍ فيُعطي أطيبَ الثمرِ